الأهرام

المصدر: الشرق الأوسط

التاريخ : ١٥ فبراير ٢٠٠٥

لبنان: كفكف أحزانك.. وانهض!

حسن ساتي

h.satti@asharqalalawsat.com

حين اغتال ناشطو الحزب السوري القومي رياض الصلح رئيس وزراء لبنان عام 1953 في العاصمة الأردنية عمان، لم يتأمل القاتلون ولا الرصاص المعاني التي يحملها الاسم القتيل سواء بالتصريح أو التضمين، فلم تستوقفهم كلمتا (رياض) و(الصلح)، ففاجأونا برياض تهدى المكان رائحة الدم في مكان رائحة الورد التي تعطيها (الروضة) عادة، فيما رحل معنى (الصلح) وفر من المكان أمام قوم لا يتحدثون بغير لغة الرصاص فيما ينشد الصلح الحوار.

وبالأمس، وبعد 54 عاما، لم يتأمل المفجرون ولا متفجراتهم المعاني التي يحملها اسم رئيس وزراء لبنان السابق رفيق الحريري، سواء بالتصريح أو التضمين، فلم (يترفقوا) لا برفيق، ولا باسمه الأسري (الحريري)، فخضبوا لنا (الرفق) بالدماء، فرحل (الحرير) عنوان (الرقة) عن وجودنا كما فعل (الصلح) في ذلك الزمان البعيد.

في منتصف السبعينات من القرن الماضي، قال لي الزعيم الفلسطيني الراحل ياسر عرفات في القاهرة، إن المقاومة الفلسطينية خسرت من رجالها برصاص عربي ومن أيد عربية في مذابح تل الزعتر وجسر الباشا في منتصف سبعينات القرن الماضي في لبنان، أضعاف ما خسرته من يد اسرائيلية. ولم يكن وقتها السفاح شارون قد ارتكب مذابح صبرا وشاتيلا (بلبنان) ولم يكن الليكود قد غزا (بيروت) لإخراج عرفات ومنظمة التحرير الفلسطينية عنها، وبالطبع لم يكن شيمون بيريز قد ارتكب (مذابح قنا).

وطوال سنوات الحرب الأهلية في لبنان اختارت غالبية الدول العربية، أن تصفي خلافاتها السياسية السلمية بصورة عسكرية في الحرب الأهلية الطائفية والمذهبية في لبنان، فنشرت مجلة روز اليوسف خبرا عن شحنة أسلحة من السادات الى الموارنة هناك. تآمر العرب على بيروت قلعة الثقافة والصحافة والحرية، فامتد تآمرهم الى لبنان قبلة السياحة العربية، ليمتد كل ذلك الى لبنان مستودع التحرير الاقتصادي من قبل أن يرى المصطلح النور بتداعيات السوق الحر والعولمة من بعده. وحفز ذلك لاحقا هنري كيسنجر ليتحدث عن (مختبر لبنان)، وكيف له أن يقدم نموذجا لما يمكن أن تكون عليه وتائر الحروب المذهبية والطائفية والعرقية في الوطن العربي، فشاع مصطلح (اللبننة)، ولم تظهر تجلياته الا لاحقا في الصومال، فيما بدت إرهاصاته في السودان والجزائر ومناطق أخرى.

وأكملت اسرائيل المسرحية بغزوها لبنان لتدمر كل بنياته الأساسية، بما فيها أمها الكهرباء، فقيضت

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

السماء للبنان
رفيق الحريري،
الذي اختار
برفق وبلمسات
حريرية أن يكون
الإعمار هاجسه، وأن يبدأ من
الصفر ولكن بأسبقية
للاقتصاد بعد أن قدم النظام
العالمي الجديد، وسقوط
الحرب الباردة، من موقع عربة
الاقتصاد لتحل محل عربة
الآلة العسكرية، وبعد أن عدلت
العولمة في مقولة قواميس
السياسة القديمة، التي كانت
تقول إن الجيوش تتبع أعلام
بلادها أيام الاستعمار،
لتصبح أن أعلام البلاد تتبع
الآن اقتصادها ومصالحه،
ولكن الأيدي العربية اغتالت
حتى هذه الريادة الحريرية،
وأقول
(العربية)، لإني لا أتخيل
جهة أخرى. فلبنان هذا حزين
منذ مولده، ويشاء قدره أن
يضعه هكذا في قلب رحى آلة
الصراع العربي الإسرائيلي
الطاحنة، وآلة الصراع العربي
العربي بأدواتها القذرة، أولم
تخض سورية والعراق على
خلفية خلافهما العقائدي حربا
باردة في لبنان، أو لم تخض
حتى إيران البعيدة خلافاتها
الإقليمية تحت عباءة نصرة
القضية الفلسطينية حربا
باردة أخرى ضد الآخرين من
هناك، أولم تنغمس حتى ليبيا
لتجد لنفسها منابر إعلامية
وتجارية مسلسل الاختطافات
الذي جعل من لبنان لاحقا
أرضا له، ليصبح لبنان البلد
الوحيد في العالم الذي التأمت
فيه حرب باردة عربية عربية،
وغربية شرقية، وإسلامية
اسلامية، فجاءه المارينز
ولكنهم أبيدوا، ودخلته
القوات السورية لتخلط بين ما
هو مرحلي وما هو دائم،
ولتصبح مجرد (لا)، وإن برفق
وحريرية كابوسا يظلل النوم
بكوابيس الدماء والأشلاء.
حزين هذا البلد منذ
مولده، وحزنه أعمى، ولا يكاد
يفرق بين رئيس الجمهورية
ورئيس الوزراء أو الوزير
والصحافي أو قائد المليشيا
ومفتي الديار، ومن حزنه
الأعمى هذا التهم بالاغتيال
رياض الصلح ورشيد كرامي
ورفيق الحريري من رؤساء
وزرائه (ولم تنه مدلولات
الاسم، وأي قدر هذا الذي
يغتال الرياض والرشد والرفق
والصلح والحرير والكرامة)،
وبشير الجميل ورينيه معوض
من رؤساء جمهوريته، ونسيب
المتني وسليم اللوزي من
صحافييه، وكمال جنبلاط من
مفكريه وشعرائه وحسن خالد
من مفتييه السنيين، والقائمة
طويلة.
ولكنها دورة نحو غد
أجمل، سقاها رياض الصلح
ورعاها رشيد كرامي، وشب
بها عن الطوق رفيق الحريري،
وفي الغد يكتمل البنيان
لتعود لبنان الثقافة والسياحة
والاقتصاد، وليواصل رحمها
إنجاب حفدة جدد لكوكبة
مبدعيها، لتواصل أرضها ما
كانت رفد شجرة الحرية
بالنشر والشعر وموسيقى
الرحبانية وصوت فيروز،
والى جنات الخلد رفيق
الحريري.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية